

# التغطية العفوية لوسائل الإعلام تخدم أجندات التنظيمات الإرهابية

الباحث التونسي جلال التليلي لـ «العرب»: الإرهاب يفرض التفاوض مع الرأي العام والسلطة السياسية عبر نوعية التغطية الإعلامية

بالرغم من مرور عقود والعالم يواجه الإرهاب غير أن المقاربات الإعلامية لشرح هذه الظاهرة وأحداثها لا تزال محل انتقادات واسعة خاصة في الآونة الأخيرة التي سجّلت حوادث إرهابية في أكثر من منطقة. وفي هذا الصدد صدر مؤخرا كتاب «إرهاب يُعلم.. وإعلام يُرهب» للباحث التونسي جلال التليلي الذي حاول من خلاله شرح التقاطعات بين ما هو إعلامي وديني وسياسي في تونس خلال عشرية ما بعد ثورة 14 يناير 2011.

صفير الحيدري  
صحافي تونسي



وتجنيد المتحمسين إلى جانب التأثير في ثقة الرأي العام بقدرة مؤسسات الدولة الأمنية والسياسية على توفير الحماية للمواطنين. أما الإعلام فقد تحول إلى إعادة إنتاج هذا الخطاب الإرهابي عندما يسقط إما في فخ تضخيم الظاهرة الإرهابية وتهويلها أو في التقليل من أهميتها وتبريرها ثم التطبيع معها بوصفها قضاء مقدر أو في المقايضة بقبول الأمر الواقع وأهون الشؤر. وهي إشكالية مطروحة على المستوى الوطني والإقليمي كما على المستوى العالمي في مستوى هذا «الإرهاب الذي أصبح ذا طبيعة فرجوية» على شاكلة الإخراج السينمائي. لا ننسى أن الإعلام هو صناعة تحويلية هدفها الاستئثار بأعلى نسب من المستهلكين لها من أجل الترفع في عائدات الإشهار حسب القاعدة المعروفة بالارتباط التناسبي لسعر الموضات بنسب المتابعة، وهو ما يدفع الفاعل الصحافي لاستخدام كل التقنيات والوسائل لجلب المتابعين بما فيها التضخيم والإثارة والسبق وغيرها.

● هل الإشكال اليوم في تغطية وسائل الإعلام للحوادث الإرهابية وشرحها للظاهرة أم هناك خطأ آخر وقعت فيه هذه الوسائل؟

■ المسألة لا تتعلق بالأخطاء بقدر ما تتعلق بالمقاربة الإعلامية لدور الصحافي وبالوظائف التوسيطية للإعلام والصحافة خلال الأزمات والمنعرجات الكبرى (..) فقد تبين لنا من خلال متابعة التغطية الإعلامية طيلة سنوات عديدة أن الإعلام في تونس قد اتبع استراتيجيتين اثنتين في التعاطي مع الأحداث الإرهابية: الأولى تضييفية في توصيفها وتحليل أسبابها وتوقع آثارها فلنا من عدة فاعلين صحافيين أن ذلك يساهم في مقاومتها والحد منها وذلك نتيجة لنوع من العفوية الصحافية ونقص التجربة مع هذا النوع من الأحداث، بالإضافة إلى عدم التخصص في القضايا الأمنية والإرهابية ومحدودية الصحافة الاستقصائية. الاستراتيجية الثانية لبعض الفاعلين الصحافيين كانت على العكس تسييطية تطبيعية وترجعها

● «إرهاب يُعلم.. إعلام يُرهب» عنوان يُثير الفضول كما الاستغراب لدى القراء حتى قبل تصفح الكتاب. لماذا هذا العنوان بالذات في هذه المرحلة بالذات خاصة وأن هناك العديد من الكتب التي تتعرض لمشاكل الإعلام وكذلك للظاهرة الإرهابية والعلاقة بينهما؟

■ لقد تم اختيار العنوان ليعبر عن طبيعة الفعل الإرهابي بوصفه فعلا إعلاميا واتصاليا قبل أن يكون فعلا حربيا، لأن الإرهاب لا يهدف إلى قتل أكبر عدد ممكن من الضحايا بقدر ما يهدف إلى إعلام أكبر عدد ممكن من الأفراد مستهدفا ترهيب المعارضين له من ناحية والبحث عن نصرته المتعاطفين معه

● هل تعتبر أستاذ جلال أن هناك مؤسسات إعلامية في تونس دعمت الإرهابيين وجرانهم وكذلك أطروحات الحركات الجهادية من خلال هذه المقاربات؟

■ أنا أفضل الحديث عن تقاطعات بين الإعلام والإرهاب وبعضها وظيفي في مستوى تقاسم عفو للأدوار والوظائف الدعائية من جانب المؤسسات الصحافية ولكنه مقصود من جانب المخطط الإرهابي حيث يقوم هذا الأخير بالتنفيذ مع اختيار المكان والزمان والضحايا تاركا للفاعل الإعلامي مهمة النشر والمبالغة على أوسع نطاق.

● والبعض الآخر من هذه التقاطعات هو بنسب مرتبط بطبيعة المؤسسات الإعلامية التابعة لقوى الإسلام

● جلال التليلي يعتبر أن التغطية الإعلامية في تفسير الحدث الإرهابي تقتصر على الأسباب السياسية والاجتماعية دون مرجعيته التاريخية والدينية تجنبا لكل إحراج.



## العمليات الإرهابية لا تتوقف

وأبرياء التاريخ، يحملون رسالة عالمية لأسلمة العالم، و«عرب كافر مرتبص متامر لا بد من مقاومته وإسقاطه». مثل هذه السرديات الشعبية نجدها للأسف تخترق عديد الخطابات الصحافية وتعيد إنتاج ثقافة أقل ما يقال فيها إنها لا تشجع على مقاومة الإرهاب والتطرف إذا لم نقل إنها تعمل على إعادة إنتاج نفس الثقافة الحاضرة ونفس الحس المشترك الانفعالي متخلية عن الأبعاد النقدية والتحررية التي تميز الممارسة الصحافية.

● نختم بهذا السؤال، هل يمكن القول إن المثقف اليوم في تونس وحتى رواد الإسلام الوسطي الذي رعته الدولة في وقت ما مستقبليين عن الواقع التونسي ما غدى أطروحات الجماعات الجهادية؟

■ الحديث عن دور المثقفين في تونس اليوم يثير عدة إشكاليات أهمها الموجة الشعبية التي تجتاح المجتمع في معاداة الثقافة والمثقفين والمكربين والباحثين لصالح أشكال جديدة من ثقافة التسطيح والاستهلاك والشعوذة والخطابات الجوفاء التي تثير المشاعر وتخدر العقول أو تلك التي تستعمل الدين تبريرا للحكم واستغناء بسطاء المواطنين ولا أرى دورا جديا وحاسما للمثقفين في مواجهة أسباب التطرف والتعصب على المدى المنظور، والعزاء في ما قد تعرفه بعض المؤسسات من إصلاحات محتشمة وما تمارسه مكونات المجتمع المدني من أنشطة تحسيسية سوف تظل محدودة.

## في تونس لا توجد غير المسارات الأمنية في مواجهة الإرهاب مقابل غياب لعدة مسارات لا تقل أهمية حسب التليلي

أما رواد الإسلام الوسطي فهم فاقدون للمصادقية نتيجة ارتباطاتهم السياسية السابقة واللاحقة ولكونهم عاجزين معرفيا عن مباشرة حركة إصلاحية دينية تفصل بين الدين والحياة العامة فتخلص من الخرافات والأساطير ومن نفسية السياسة كما تستعيد عقلانية الدولة وعدالتها التوزيعية للفرص المتساوية. توجد العديد من المجتمعات المشابهة التي تتوفر على نخب دينية وسطية ولكنها لم تكن في منأى عن الإرهاب باعتباره ظاهرة مألوفة ومعقدة تحتاج إلى مزيد من التحليل والتفكير.

بضعف من مراقبة هذه السلطات التي تتهم من حين إلى آخر بالتورط تقصيرا أو تهاونا أو تساهلا في بعض المجالات المؤسسية للجرائم الإرهابية، دون رصد إعلامي موضوعي أو متابعة صحافية استقصائية، كفيلة بتجاوز ما تخديه الإشاعات من تطبيع وإرباك مع ما قد يصح منها من اختراقات فعلية. ما زالت أزمة القطاع الإعلامي متعددة المظاهر والأسباب، وسوف تكون طرائق التعاطي معها حاسمة في تغطية الأحداث الإرهابية وتساؤل الظاهرة محليا وإقليميا وعالميا، خاصة وأن الخطاب الإعلامي في «تونس» لم يتجاوز تقاطعاته مع الثقافة السياسية الموروثة وظل جيبس الاستحداث التوفيقي الذي ميز الفكر النهضوي والحركات الإصلاحية والوطنية المعاصرة جامعا بين العناصر التقليدية الموروثة وبين العناصر الحديثة الوافدة ضمن توليفة توفيقية ظلت عاجزة عن حسم مآلاتها.

● اليوم هناك مسارات متعددة في تونس للقضاء نهائيا عن ظاهرة التطرف، كيف تقرا هذه الجهود خاصة أن عمليات نيس وأكرو في ولاية (محافظ) سوسة الساحلية مؤخرا كشفت عن خلل ما، أين الخلل برأيك؟

■ حسب رأيي لا توجد في تونس غير المسارات الأمنية في مواجهة الإرهاب والتطرف مقابل غياب لعدة مسارات أخرى لا تقل أهمية استراتيجية، مثل المسار التنشيطي والتربوي الذي يحتاج إلى رؤية إصلاحية جذرية للتربية على المواطنة وحقوق الإنسان وحرية الضمير، والمسار السياسي الذي ما زالت رهانات فاعليه الأساسيين تعطل العديد من الإجراءات القضائية والسياسية وغيرها. فمواجهة الإرهاب تتطلب رؤية علمية دقيقة تكشف عن تعدد الأسباب بما فيها الأسباب الدينية وتدخل المسارات بما فيها المسارات الثقافية المؤدية إلى التطرف والإرهاب، كما تتطلب استراتيجية جريئة قادرة على تجاوز مقولات المؤامرة الخارجية وتبرئة الذات والتصل من المسؤولية المجتمعية والحضارية تجاه هذه الظاهرة.

فالمشكلة أن استخدام صنف من الصحافيين مثلا المفهوم انتقائي ستاتيكي لهوية «ثابتة» يعتبرها مستهدفة لذاتها» كما ظهر في المدة الأخيرة، إنما يبصر «عنفا الدفاعي عن النفس والمال والعرض ونصرة الدين الحق» ويحمل تقاطعا مع المواقف التي تصب ضمنا في أهم مكونات الاستراتيجية الإرهابية التصاممية التي تقسم العالم إلى مسلمين ضحايا العصر

السياسي المحلية والإقليمية والتي تشترك في نفس المشروع لأسلمة الدولة والمجتمع ودمج الدين بالسياسة رغم ما يظهر من اختلافات تكتيكية. فقد تعددت البرامج التلفزيونية والمقالات الصحافية التي تناولت قضايا الإرهاب بخلفية داعمة للإسلام السياسي عامة مما أثار اتهامات من داخل الحقل الصحافي بتبويض الإرهاب والتورط في الدسائس السياسية والأمنية ثم بالفساد استغلالا للنفوذ والابتزاز مثلما حصل مع بعض الصحافيين المشتهرين في عديد المناسبات خاصة مع الإعلام السمعي البصري، كما تضمنت بعض البرامج الحوارية فرضيات تلمّح حيننا وتصرّح أحيانا أخرى إلى إمكانيات اختراق المؤسسة الأمنية بل وتواطؤ بعض عناصرها مع الإرهابيين.

ويقطع النظر عن مدى صحة هذه الفرضيات فهي تتقاطع مع الاستراتيجيات الإرهابية في أحد مكوناتها الأساسية المرتبطة بإنهاك المؤسسات الأمنية والعسكرية وإضعاف قدرتها على المقاومة والظعن في صداقيتها وتجريدها من الثقة الوطنية من خلال نشر الشعور الجماعي المعتم على حمايتها المواطنين في سلامتهم الأمنية تمهيدا للانقضاض على الدولة حسب ما هو معروف في الأدبيات الإرهابية.

● ما الذي يغيب اليوم عن الإعلام لكي يضطلع بدوره المنوط به ولكي يعزز الجهد الوطنية لمكافحة آفة التطرف في أن واحد دون التراجع عن حرية التعبير وغيرها؟

■ ينجح الإرهاب عادة في فرض التفاوض غير المباشر مع الرأي العام والسلطة السياسية، حاضرا بنوعية التغطية الإعلامية وإشكاليها في ثنايا البرامج السياسية والحملات الانتخابية والخطط الأمنية العسكرية لمحاربته في أضعف حلقاته وأضيق مساحاته المفضلة، في حين تترك أقوى حلقاته والاتصالية الدعائية لعفوية الصحافة وانطباعيتها اللتين تمثلان بساطا فرجويًا مغذيا لكثرة تسجّل تنديها غير نفس الممارسة الصحافية المستقلة عن المنطق الزبوني والواعية لآثار خطابها المختصة بمجالات تدخلها حين تكشف أن الصراع مع الظاهرة الإرهابية أصبح يخاض على أعمدة الصحف المكتوبة وموجات البث الإذاعي وشاشات التلفزيون كما على المواقع الإلكترونية لشبكات التواصل الاجتماعي. إن غياب الإعلام المختص في قضايا الأمن والإرهاب وفي الإعلام القضائي

إلى المؤامرات الخارجية والداخلية، وذلك بدوافع سياسية وأيديولوجية للاستفادة من الظاهرة الإرهابية لصالح القوى المحافظة ومقايضة الرأي العام للحد من الحريات والتنازل عن المكتسبات الحداثية، وفي كلا الحالتين كانت الاستراتيجية الإرهابية هي المستفيدة من ممارسة ما يسمى «الدعاية بالحدث» سواء بالإثارة أو بالإشادة.

● لكن وبصفة عامة الخطاب الإعلامي له مميزاته ولكل وسيلة إعلامية طريقها في معالجة الأحداث سواء إرهابية كانت أو غيرها، اليس كذلك؟

■ بالنسبة إلى الخطاب الإعلامي في علاقته بالحوادث الإرهابية ما بعد ثورة 14 يناير تميز بميزتين أساسيتين: التركيز على الحدث أكثر من التركيز على الظاهرة وإيلاء الاهتمام للعمليات الإرهابية أكثر من الاهتمام بالظاهرة بأسبابها وعواملها وسياقاتها وأثارها المفترضة ودون تحليل استراتيجياتها الاتصالية في الدعاية والإشهار من حيث الأهداف المحلية والنهائية ومن حيث الوسائل المعتمدة في ذلك، بحثا عن إثارة المتلقي بإغراقه في تفاصيل الحدث.

● والميزة الثانية هي الاقتصاد في تفسير الحدث الإرهابي على الأسباب السياسية والاجتماعية والاقتصادية دون مرجعيته التاريخية والدينية تجنبا لكل إحراج أو ردة فعل قد تثار عند مناقشة المسلمات الاستطورية للتاريخ الإسلامي مما يوحي بأن الظاهرة لغز غريب عن تاريخنا «المجسد» وعن ديننا الحنيفي كما هي غريبة عن العصر «السعيد» الذي يجاربهها رغم مظاهر العنف والإرهاب التي تتناقلها يوميا نفس المؤسسات الصحافية.

● هل تعتبر أستاذ جلال أن هناك مؤسسات إعلامية في تونس دعمت الإرهابيين وجرانهم وكذلك أطروحات الحركات الجهادية من خلال هذه المقاربات؟

■ أنا أفضل الحديث عن تقاطعات بين الإعلام والإرهاب وبعضها وظيفي في مستوى تقاسم عفو للأدوار والوظائف الدعائية من جانب المؤسسات الصحافية ولكنه مقصود من جانب المخطط الإرهابي حيث يقوم هذا الأخير بالتنفيذ مع اختيار المكان والزمان والضحايا تاركا للفاعل الإعلامي مهمة النشر والمبالغة على أوسع نطاق. والبعض الآخر من هذه التقاطعات هو بنسب مرتبط بطبيعة المؤسسات الإعلامية التابعة لقوى الإسلام